23

اللاجئون السياسيون الروس في مصر في مطلع القرن العشرين

تشكلت الجالية الروسية في مصر في نهاية القرن التاسع عشر. في عام ١٨٨١ بلغ تعداد الرعايا الروس في مصر ما يقرب من ١٠٠ شخص [٦٦٤]، أما في عام ١٨٩٧ وفقاً للإحصائيات المصرية، فقد تجاوزت أعدادهم ثلاثة آلاف شخص [٦٦٥]. ومن الجدير بالذكر أن التركيبة العرقية لهذه الجالية كانت تتكون من أغلبية يهودية [٦٦٦]، وكان الكثير منهم معاد للنظام القيصرى في روسيا .وقد قام الثوار الروس باستغلال تواجد هذه الجالية الروسية في مصر في أوائل القرن العشرين؛ لإرسال ونقل المطبوعات الماركسية والصحف من أوروبا إلى روسيا.

أشار مارسيل إسرائيل أحد أبرز المناضلين في الحركة الشيوعية المصرية، إلى أنه: «في بداية القرن العشرين توجه عدد من اليهود الروس الفارين من استبداد القيصر إلى مصر، وكان من بينهم مجموعة من البلاشفة». وعندما كان «لينين» يعيش في منفاه في «فرنسا وسويسرا» وجد أن بإمكانه الاستعانة ببعض الأصدقاء المتواجدين في مصر من أجل إرسال المراسلات من خلالهم إلى روسيا [٦٦٧]. وكان ذلك من أجل خداع السلطات القيصرية.

---

٦٦٤ عن مقالة : Русские политэмигранты в Египте в начале XX века، والتي نشرت بمجلة «الأرشيف الشرقى»، إصدار معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية للمستشرق الروسي Vladimir Belyakov «مصر بعيون الروس» منتصف القرن التاسع عشر- أوائل القرن العشرين. مجموعة وثائق. موسكو، ١٩٩٢، صـ ١٢٥- ١٢٦.

٦٦٥ «جينادى جورياتشكين»، «جريتسينكو»، «ديميترى فومين». الهجرة الروسية في مصر وتونس (١٩٢٠- ١٩٣٩). موسكو ٢٠٠٠، صـ ٦.

٦٦٦ لمزيد من التفاصيل أنظر: «فلاديمير بيلياكوف» «على شاطىء النيل المقدس» الروس في مصر. موسكو، ٢٠٠٣، صـ ١٠٠- ١٠٤.

٦٦٧ «رفعت السعيد» تاريخ الحركة الشيوعية المصرية «الجزء الأول ١٩٠٠- ١٩٤٠. القاهرة، ١٩٨٧، صـ ٦٩٨. تقرير موسكو. نشرت إسرائيل كملحق لهذه الدراسة.

تؤكد المواد الأرشيفية أنه كان يوجد عدد من الثوار بين المهاجرين السياسيين المتواجدين داخل مصر. ونورد هنا تقريرين أرسلهما دبلوماسيون روس من «القاهرة»، إلى «سانت بطرسبورج»، حول مغادرة القاهرة بعض « الأشخاص المشتبه فيهم « إلى روسيا بعد بداية الثورة الروسية الأولى. وجاء في التقرير المؤرخ في السادس من شهر فبراير ١٩٠٥ أن كل من الأرمينى «كوتشير ماجيانتس» الذي يبلغ من العمر ثلاثين عاماً، والبولندى « بيليانسكي» ، الذي يبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً كانا قد ذهبا في الرابع من فبراير على متن البارجة الروسية « القيصر» عبر «القسطنطينة» أو «أوديسا» إلى «باتوم» ... حيث تم إرسالهما إلى هناك على مايبدو، من قبل اللجنه الأرمينية لتنفيذ بعض العمليات الإرهابية التي تستهدف السكك الحديدية والمدنيين، بينما سافر شريكهم «بارتوبالتيان» في الرابع والعشرين من يناير من «بورسعيد» إلى « جينيف» لاستلام وتسليم القنابل إلى روسيا عبر « كاراكوف» [٦٦٨].

في الثانى والعشرين من فبراير تم إرسال البرقية التالية من « القاهرة» إلى العاصمة الروسية: «غادر الجمعة الماضية على متن إحدى السفن الروسية من «الإسكندرية» والمتوجهة إلى «أوديسا» ثلاثة أشخاص مشبوهين وهم: «ناريس فيليكس فرانسوسكيفيتش» ويحمل جواز سفر مصري، و « كازيمير أنطونوفيتش مارينسكى»، ويحمل جواز سفر تركي، بالإضافة إلى شاب آخر مجهول ولديه جواز سفر نمساوي ويدعى «فالوديا» [٦٦٩]، وذلك بهدف الدعاية الثورية.

إذا صحت المعلومات التي وردت عن طريق عملائنا عن الغرض من مغادرة الثلاثة الأوائل من اللاجئين السياسيين، فهذا يعنى أنهم بالطبع ليسوا من البلاشفة، أما فيما يخص المجموعة الثانية فإن إنتماءاتهم الحزبية غير معروفة.

لكن من المؤكد، أن هناك مجموعة من الثوار عاشت في مصر في مطلع القرن الماضى، وكانوا إما يعرفون لينين نفسه معرفة شخصية، وإما يعرفون دائرته المقربة من الأصدقاء. يؤكد ذلك إرسال صحيفة «إسكرا» والأدبيات الماركسية إلى روسيا عبر الإسكندرية.

٦٦٨ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ١٥١، حافظة ٤٨٢، وثيقة ٨٥٤، السطر ١٢.

٦٦٩ نفس المرجع، وثيقة ٨٥٥، السطر ٤.

في بداية أغسطس من عام ١٩٠١، نوه «ف.إي. لينين» ، و«م. ك. كروبسكايا» في خطابهما إلى «جالبيرنو في باكو» عن خطة إرسال « إسكرا» عبر الإسكندرية .غير أن تنفيذ هذه الخطة تأخر لمدة ستة أشهر[٦٧٠] لأسباب غير معروفة ، وكتبت كروبسكايا إلى كرجيجا نوفسكي في الثلاثين من مارس لعام ١٩٠٢ تقول : «إن الطرق عبر مصر سالكة وأن أهالي خيرسون هم من قاموا بتمهيدها» [٦٧١] .

غير أن «الطريق المصري» لايصال مواد «إسكرا» إلى روسيا لم تدم غير ستة أشهر ، وذلك بسبب يقظة البوليس السري التابع للقيصر بالإسكندرية ، ولم تدخل ضمن إطار الطرق الأساسية . وقد وصف الباحثون الوطنيون هذه الطريق بالتفصيل [٦٧٢] ، وذكروا عدد وكم الطرود ، التي تم إرسالها ومحتواها الأدبيَ ، ومن أرسلها ، ومن تسلمها داخل الموانىء الروسية ، ومتى وكيف اكتشفتهم السلطات القيصرية ؟ لذلك لن نتوقف عند هذه القضايا ، ولكن كل ما يهمنا هو من مهد هذه الطريق هنا في مصر . ولكن للأسف المعلومات التي بين أيدينا بهذا الشأن ضئيلة للغاية . كل ما نعرفة فقط ينحصر في اسم المواطن الروسي السابق «أوسيب ميخائيلوفيتش يوزيفوفيتش» ، صاحب حانة «سيفاستوبول» ، حيث توجد النقطة الأولى للمنشورات المحظورة ، وكانت حانته تقع بالقرب من الميناء ، ويرتادها بصفة خاصة البحارة الروس .

في نهاية نوفمبر ١٩٠٢ تسلم عمدة «أوديسا» وقائد قوات الحرس بالمدينة ، خطابين من الإسكندرية بدون توقيع . وقد كتبهما شخص واحد ، ويتضمنان نفس المحتوى. وجاء فيهما أن : «حانة» «سيفاستوبول» تعد «وكر الاشتراكيين» و «مقر الرابطة الديموقراطية الإشتراكية» ، وأن « يوزيفوفيتش» أقلق روسيا على مدار ٢٢ عاماً بالكتب الثورية ، التي كان يرسلها على متن كل سفينة . وأن صاحب الحانه يتردد على السفن الروسية في ميناء الإسكندرية أثناء غياب قادتها ويقوم بنشر المنشورات المحظورة بين بحارتها . واقترح صاحب الرسالتين اعتقال « يوزيفوفيتش» أثناء تواجده

٦٧٠ مراسلات «لينين» ورئيس تحرير «إسكرا» مع المنظمة الديموقراطية الروسية «١٩٠٠-١٩٠٣» . المجلد الأول . موسكو ، ١٩٦٩ ، صـ ١٨٥ ، ٥٦٨ .

٦٧١ نفس المرجع ، صـ ٤٥٨ .

٦٧٢ أنظر : «جينادى جورياتشكين»« الطريق المصري» مواد إسكرا في روسيا // جامعة موسكو مسلسل ١٣ . الاستشراق . ١٩٨٧ ، رقم ١ ، صـ ٣-١١ ، «فرانكل» «إسكرا» اللينينية في مصر// محمية الطيور بأفريقيا . موسكو ٢٠٠٠ ، صـ ٢٠- ٢٩ .

على متن إحدى السفن، وترحيله إلى «روسيا» داخل أحد الصناديق مكبلاً بالقيود، لكي « لا يضل البحارة عن الطريق القويم» [٦٧٣].

وفقاً لهذه الرسائل المجهولة، عاش «يوزيفوفيتش» في مصر فترة طويلة، ومن غير المرجح أنه كان شتراكيا- ديموقراطيا أو أنه ينتمي إلى «إسكرا». فعلى الأرجح أن المنظمين الأصليين لطريق إسكرا قد اتفقوا معه على إستخدام الحانة لتكون قاعدة لإعادة الشحن، حال علمهم بمدى كراهيته لسلطة القيصر. وبالفعل كتبت كروبسكايا في الثانى عشر من أكتوبر عام ١٩٠٢ للخيرسونيين أن «يوزيفوفيتش» شخصية شديدة الغموض. [٦٧٤]

ورجح صاحب الرسالة أنه لم يتم القبض على صاحب الحانة المعروفة باسم «سيفاستوبول»، بفضل حمله لجواز سفر مصري. ولكن هذا لم يحل دون تفتيش الحانة، كما تم منع البحارة الروس من الذهاب إليها، وفي نهاية عام ١٩٠٢، وفقاً لما أعلنه القنصل الروسي بالإسكندرية، أُجبر «يوزيفوفيتش» على بيع الحانة «للمواطن الإيطالى الاشتراكي بارون» [٦٧٥].

قام الكاتب في عام ١٩٨٧ بمحاولة اكتشاف مكان حانة «سيفاستوبول» بمساعدة المؤرخين المصريين في مدينة الإسكندرية. وقد توصلنا إلى استنتاج مفاده، أنه ربما كانت تقع في المنزل الذي يحمل رقم ٢٨ في شارع الكنيسة القبطية [٦٧٦].

الإخفاق الذي تعرض له «الطريق المصري» «إسكرا»؛ في منتصف ١٩٠٢ لم يدفع الثوار الروس للتخلي عن فكرة استخدام الإسكندرية قاعدة أساسية؛ لإعادة الشحن ونقل المنشورات المحظورة إلى روسيا، وهذا يؤكد أن يوزيفوفيتش، الذي تخلى عن حانته، لم يكن المنظم الأساسي «للطريق المصري»، بل كان هناك شخص آخر يقوم بهذا الدور، وأن الاشتراكيين الديموقراطيين كان لهم في مصر شركاء في الرأي من أهل الثقة.

---

٦٧٣ «جينادى جورياتشكين» « الطريق المصري» مواد إسكرا في روسيا صـ ١٠.

٦٧٤ مراسلة «لينين» إفتتاحية جريدة «إسكرا». المجلد الثانى. موسكو، ١٩٦٩، صـ ٣٣٥.

٦٧٥ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية. ملف ١٥١، حافظة ٤٨٢، وثيقة ٢٤٠٧، السطر ١٥.

٦٧٦ «فلاديمير بيلياكوف»، محمية أفريقيا للطيور، صـ ٢٥- ٣٩.

في ديسمبر من العام نفسه اقترح «سميدوفيتش» طريقة أخرى لتسليم المنشورات عبر الإسكندرية. وحول هذا الأمر تحدث «م. فرانكل» «واقترح إشراك ألكسندر فارتانيان وعمه وهما من ساكني الإسكندرية في هذا الأمر، عن طريق أحد معارفهم ويدعى كوزيرينكا»[٦٧٧]، إلا أن هذا الاقتراح لم ينفذ، مثله مثل محاولة الاشتراكيين الديموقراطيين في أوديسا «ترتيب عملية النقل" عبر الإسكندرية عام ١٩٠٣[٦٧٨]، والتي على الأرجح قد تم إحباطها من قبل أنشطة الشرطة السرية للقيصر.

في بداية القرن العشرين، كان يعيش في مصر حوالي ربع مليون أوروبى. وكان دورهم في حياة البلاد أكبر من حصتهم في التعداد السكانى للبلاد، فقد كان الأوروبيون في الغالب يعملون مهندسين وفنيين، وعمال مهرة داخل الشركات والمؤسسات، أي أنهم الجزء العامل من السكان، الذي تتوفر فيه المتطلبات اللازمة لتحقيق التنمية الاقتصادية للبلاد، والتي لم تكن تتوفر لدى المصريين أنفسهم.، وغالباً ما كان يعيش الأوربيون في مدينة الإسكندرية، التي كانت تعتبر نافذة مصرعلى أوروبا.

قال بوزانوف عن مدينة الإسكندرية التي زارها عام ١٩١٠ : «لقد أحدثت الإسكندرية انطباعاً لدينا أعظم بكثير مما تركت إسطنبول، فالمدينة تم تخطيطها بشكل سليم، وكانت عبارة عن خطوط متساوية. وكانت منازلها تحمل الطابع الأوروبى، وتجدها قد ازدانت بالتماثيل والنوافير وخططت بها الميادين، كما أنك تجد سكانها وقد غطت رؤوسهم القبعات المصنوعة من القش وخوذ الجنود والقبعات الإستوائية التي تغلبت على الطرابيش والعمائم، وهذا يوضح لنا أن الإسكندرية المعاصرة مثلها مثل الإسكندرية الإغريقية، لا تحمل الطابع المصري، ولكنها مدينة يونانية في المقام الأول، أو بالأحرى «مدينة نموذجية من بلاد الشام»، وكان يقطنها حوالى ٣٥٠٠٠٠ نسمة نصفهم من الأجانب من مختلف الجنسيات...(من إيطاليا واليونان وفرنسا[٦٧٩]).

كان الأوروبيون المقيمين على الأراضي المصرية يتمتعون بخبرة كبيرة في المشاركة في الحركة العمالية في بلادهم، ولم تكن الأفكار الإشتراكية غريبة عليهم، حتى أنه في مصر كانت توجد هيئات للحزب الإشتراكي الإيطالى، والحزب

٦٧٧ «فرنك» . موسكو . مرجع سابق صـ ٩ .
٦٧٨ نفس المرجع .
٦٧٩ «بوزانوف» بين النيل والبحر الأحمر . موسكو ١٩٥٦ ، صـ ٦٩ .

الاشتراكى اليونانى. وقد أشار المؤرخ المصري عبد الوهاب بكر أن : «الأجانب كانوا بالنسبة للعمال المصريين بمثابة المعلم، خاصة فيما يتعلق بالأيديولوجية والحركة العمالية» [٦٨٠] وأوضح أن الأجانب تحديداً، كانوا أول من بادر بإنشاء نقابات عمالية مختلطة بمشاركة المصريين.

وقد ساهم بعض أفراد الجالية الروسية، بدور ملحوظ في الحياة النقابية المصرية، وقد كتب المؤرخ المصري «رفعت السعيد» إن أول اتحاد تم تأسيسه عام ١٨٩٩ كان يخص عمال شركات التبغ، وأسسه أحد أبناء روسيا ويدعى يوسف روزنتال. وأصبح يوسف روزنتال ومن بعده ابنته شارلوت، اللذان أصبحا مواطنين مصريين، أبرز أعضاء الحركة العمالية المصرية، والدعاه للأفكار الاشتراكية [٦٨١]. وفي عام ١٩٢٠ تم تأسيس الحزب الإشتراكي المصري في مدينة «الإسكندرية» برئاسة روزنتال، وقد تحول بعد ثلاث سنوات من إنشائه إلى الحزب الشيوعي. كما تولى روزنتال منصب الأمين العام لاتحاد العمال في مصر [٦٨٢]، وفي عام ١٩٢٢ قام الحزب الإشتراكي بإرسال شارلوت روزنتال [٦٨٣] إلى موسكو؛ للدراسة في الجامعة الشيوعية لعمال الشرق.

كما شارك اللاجئون الروس في أنشطة الجماعات الماركسية، التي تم تنظيمها من قبل الأجانب المقيمين في مصر، وقد أفادت الشرطة المصرية أنه من بين أعضاء جماعة «ياسنوست»، و «كارلتى»، كان هناك ثلاثة أو أربعة مهاجرين من روسيا، وكان لقب أحدهم «كوسوفوسكي». وسميت الجماعة باسم المجلة التي كانت تصدر في باريس واشترك في تحريرها كل من أناتولي فرانس، وهنري باربوس، ورولن رولان باريس [٦٨٤].

---

٦٨٠ «عبد الوهاب بكر» أضواء على النشاط الشيوعى في مصر «١٩٢١- ١٩٥٠» القاهرة، ١٩٨٣، صـ ١٧.

٦٨١ «رفعت السعيد» « تاريخ الحركة الإشتراكية في مصر» «١٩٠٠- ١٩٢٥». الإصدار الخاص القاهرة، ١٩٨١، صـ ٧٤.

٦٨٢ « كوساتش» . الراية الحمراء فوق الشرق الاوسط ؟ «الحزب الشيوعي المصري، فلسطين، سوريا، لبنان في العشرينيات والثلاثينيات»، موسكو، ٢٠٠١، صـ ٥.

٦٨٣ «كوساتش» الشيوعية في مصر في وقت مبكر : محاولة لإرساء مجموعة أو «حزب» // الشرق، رقم ٥، ٢٠٠٢، صـ ٦٥، لم تستطع « شارلوت روزنتال» العودة إلى مصر بعد إنهاء فترة الدراسة في موسكو عام ١٩٢٤، حيث تم وأد الحزب الشيوعى في مهده، وظلت في الاتحاد السوفيتي.

٦٨٤ «رفعت السعيد» تاريخ الحركة الاشتراكية، صـ ١٧٩.

وكان نمو الحركة العمالية وإنتشار أفكار الإشتراكية اللتان تأثر بهما بعض المثقفين المصريين، ممن نالوا قسطاً من التعليم في أوروبا يسيران وأيديهما في يد الحركة الوطنية. في بداية القرن العشرين ترأس الحركة الوطنية الزعيم البارز «مصطفي كامل» (١٨٧٤- ١٩٠٨) الذي كتب عنه السفير الروسي في القاهرة «سميرنوف»[٦٨٥] عام ١٩٠٠: «مصطفي كامل، هذا الخطيب المفوه والكاتب البارع والعدو اللدود للاحتلال البريطاني في وادى النيل استطاع أن يصنع لنفسه مكانة رفيعة ويكسب النفوذ داخل أوساط المسلمين المحليين». استطاع أن يؤسس صحيفة «اللواء» التي دعى فيها إلى التحرر الوطنى.

الشعور بعدم الرضا بدأ يتصاعد خفية تجاه الاستعمار البريطانى الذي كان يستغل الموارد المصرية بلا رحمة. وفي الفترة فيما بين عامي ١٩٠٦ إلى ١٩٠٨ أدى إلى مظاهرات حاشدة ضد الاستعمار البريطانى خاصة بعد «حادثة دنشواى»، وهى الحادثة التي جسدت الظلم الجائر للإستعمار البريطانى و استخدامهم للعنف ضد مجموعة من المزارعين في الدلتا في يونيو عام ١٩٦٠.

ظهور الحركة الوطنية في مصر تزامن مع انحسار الموجة الأولى من الثورة الروسية وخوفاً من ملاحقات السلطات القيصرية، قام عدد من النشطاء المشاركين في الأحداث الثورية بالانتقال من الجنوب الروسي إلى مصر.

«وقد وصف أ. ف. زيفاجو لقاءه بأحد مواطنيه في الإسكندرية في يناير ١٩١٠[٦٨٦]: في أحد شوارع الإسكندرية توجه إلينا شاب صغير ذو شعر أشقر ومستدير الوجه ويرتدي ثياباً رثة وقال بلغة روسية لاتشوبها شائبة: «هلا ساعدتم بحاراً بائساً من رجال الثائر «بندلايمون». سارع المرشد بالتوضيح قائلاً: «إنه روسي – وهم هنا كثيرون ويجلسون حتى ساعات متأخرة من الليل في أحد مقاهي الميناء الذي يحظى بسمعة سيئة للغاية».

كان من أبرز الفارين إلى مصر أحد المشاركين بنشاط في الثورة ويدعى ماخار (ميشكا) بوتسيوف، وكان عضواً في لجنة الإضراب أثناء إضراب البحارة في مدينة «أوديسا» في صيف عام ١٩٠٦. وقد تم إعتقاله مع مجموعة من زملائه النشطاء في بداية

٦٨٥ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية. ملف ٥١، حافظة ٤٨٢، السطر ١٩٢.
٦٨٦ «زيفاجو»، طبيب، عالم مصريات، أحد هواة جمع المقتنيات، موسكو، صـ ١٤٤.

الإضـراب ، الـذي أُعتـبر إضرابـا ناجحاً ، حيـث اعترف ملاك السـفن بالنقابـة التي كونها البحارة تحت اسـم « ريجستراتسـيا» (التسجيل) ، وقد تم إطلاق سراح جميع النشطاء عدا بوتسـيوف ، الـذي وفقـاً لما صرح بـه رجال الدرك : «أنـه لم يتم إعتقالـه لانتمائه إلى لجنة الإضراب ، ولكن قبض عليه لأسباب تتعلق بانتماءاته الحزبية» .

وصـف أداموفيتـش الذي قاد الإضراب آنذاك بوتسـيوف في مذكراته أنه : « أرميني عجـوز متحمس لديه علاقات واسـعة مع الاشـتراكيين الثوريين . ومـن الواضح أنه كان يحظى بتأثير كبير على البحارة كما أشـار أدوموفيتش ، حيث أثيرت مسـألة إسـتمرار الإضـراب حتـى يتم إطلاق سـراح بوتسـيوف[٦٨٧] ، ولكن قـوة المشـاركين في الإضراب قد اسـتفندت ، وقرروا فيما بينهم : «أنه سـيأتي الوقت الذي سـنثأر فيه لبوتسـيوف» ، ولكن سرعان ما تمكن بوتسيوف من الهرب من السجن وتم نقله إلى الإسكندرية .

علـى ما يبدو فإن بوتسـيوف إسـتمر في التحريـض الثوري بين البحـارة الروس داخل الأراضـي المصريـة ، فقد كان شـخصية معروفة لدى الكثيرين منهـم ، على أنه أحد قادة الإضرابات الأخيرة التي وقعت في أوديسا .

أبلـغ السـفير الروسـي سميرنـوف[٦٨٨] في ١٦ ينايـر عام ١٩٠٧ سـانت بطرسـبورج أنه : «منذ فترة من الوقت تقوم القنصلية الروسية في الإسكندرية برصد حالات انتهاك للنظام بشـكل متكرر ، من جانب بحارة سـفن الشركة الروسـية للملاحة والتجارة ، وطبقاً لملاحظـات القـادة ، فإن البحارة الـروس يقـعون بمجرد وصولهم إلى ميناء الإسـكندرية تحديدا في نطاق «المؤثرات الضارة»

أثارت أنشطة بوتسيوف ، الذي حكم عليه في وطنه ، بالنفي إلى «أرخانجيلسك» قلـق السـلطات القيصريـة . ولكـن كان يلزم للقبض عليه سـبب وجيـه . وبناءً على نصيحة مأمور قسـم الإسـكندرية «هداية بيه» ، فقد تم إلحاق المواطن الروسـي السـابق ديفيد ماركوفيتش بجماعة بوتسيوف . وقد كان معروفا في وقت ما بآرائه الآنركية ، وظل يحتفظ بعلاقات وثيقة مع من يشاركونه هذه الآراء . وكان «ديفيد ماركوفيتش»

٦٨٧ «أداموفيتـش» الإضراب الصيفي ١٩٠٦ // مواد عن تاريخ الحركة النقابية في روسـيا . المجلد الرابع . موسكو ، ١٢٥ ، صـ ٢٦٢- ٢٦٥ .

٦٨٨ أرشـيف السياسـة الخارجية للإمبراطورية الروسـية ، ملف ١٥١ ، حافظة ٤٨٢ ، وثيقة ٨٥٩ ، السطر ٨ .

مثله مثل بوتسيوف ورفاقه ، كان يذهب إلى ملاقاة السفن الروسية في الميناء ، ويعرب عن سخطه من إستبداد القيصر وطغيانه ، وبهذه الطريقة قد نال ثقة الثوار . وفي السادس من يناير١٩٠٧ إجتمع اثنا عشر لاجئاً داخل شقة ماركوفيتش بزعامة بوتسيوف . وكان من بين المقترحات التي تم وضعها لخطة العمل : تفجير إحدى السفن الروسية . وجاء رأي الأغلبية ومن بينهم بوتسيوف مؤيداً لهذا الاقتراح كما أنه تم تضمينه في محضر الجلسة[٦٨٩] .

وقد كتب «أ . أباظة» القنصل الروسي في الإسكندرية للسفير الروسي «أ.أ. سميرنوف» : إن ماركوفيتش لم « يفعل» شيئا على الرغم من أنه ،لابد أن يقوم بدور العميل المحرض" وقد أعرب عن شكه حيال جدية وتصميم بوتسيوف تفجير السفينة !

وأشار أباظة [٦٩٠] في رسالته إلى : «أن ثمة شيئاً مريباً يحاك في الإسكندرية ولكن هل حقاً سيتم تفجير السفينة «الملكة أولجا» في رحلتها القادمة تحديداً ـ هذا سؤال آخر، والذي من وجهة نظري يجب أن تكون الإجابه عليه بالنفي[٦٩١]...! " على الرغم من ذلك وإستناداً إلى التقرير الذي قدمه ماركوفيتش طلبت القنصلية من السلطات المصرية إلقاء القبض على بوتسوف وعضوين آخرين من جماعته وهما : بولف بلوتنيك و بيكو بونتمانا. وفي الثالث عشر من يناير تم إلقاء القبض عليهم أثناء لقائهما مع «ماركوفيتش» .

أشار السفير «سميرنوف» وهو يبلغ سانت بطرسبورج عن أمر الاعتقال[٦٩٢] إلى أن : «بوتسيوف يتمتع بموهبة فذة ويتميز بالحيوية» . أما فيما يخص «بلوتنيك» و «بونتمانا» ، فقد كانا من الحرفين أنصاف المتعلمين ، وكانا يقومان بتجليد الكتب ولصقها [٦٩٣] ، ولا يعرف تحديداً متى هاجرا إلى مصر .

٦٨٩ نفس المرجع ، ملف ١٤٩ ، ٢٦ . ٥ ، وثيقة ٩٢ . السطر ٥٧ ــ ٨٠ .
٦٩٠ نفس المرجع ، السطر ٨٨ .
٦٩١ نفس المرجع ، السطر ٨٦ .
٦٩٢ نفس المرجع ، وثيقة ٥٢ .
٦٩٣ نفس المرجع ، ملف ١٥١ ، حافظة ٤٨٢ ، وثيقة ٨٥٩ ، السطر ٥ .

أحـدث أمر اعتقال ثلاثة من المهاجرين الروس أحداث عاصفة ، داخل الأوسـاط المصرية وكانت صحيفة «لاريفورم» التي تصدر في الإسكندرية أول من نشر عن هذا الأمر . ووفقاً لما جاء على صفحات الجريدة إن المقبوض عليهم لاجئون سياسيون تلاحقهم السلطات الروسية ؛ لأسباب تتعلق بمعتقداتهم . وحثت الجريدة الطبقة المثقفة بالوقوف بجانب المعتقلين والدفاع عنهم وإنتزاعهم من بين أيادى السلطات القيصرية ، وبالفعل تم تلبية النداء وأصبحت بورصة الإسكندرية نقطة انطلاق حركة التضامن معهم . ومن هناك توجه حشد كبير إلى القنصلية البريطانية . وكان أغلبهم من الأوربيين وطالبوا اللورد «كرومر» بوصفه الحاكم الفعلي للبلاد [٦٩٤] بالتدخل للإفراج عن المعتقلين .

ازدادت حدة التوتر . و أبلغ الدبلوماسيون الروس سانت بطرسبورج أنه : « في يوم الأحد السابع من يناير (بالتقويم القديم . بيلياكوف) تصاعدت الإثارة أكثر وأكثر، واتشحت المدينة بطابع ينذر بالخطر «ظهيرة ذلك اليوم بدأت الحشود الغاضبة بالهجوم على باخرة الشركة الروسية ، القابعة داخل ميناء الإسكندرية ، وحطموا أبوابها وفتشوها في محاولة للبحث عن المجرمين ، ثم توجهت هذه الحشود إلى القنصلية في محاول لاقتحامها ، وإنتزعت الدرع الذي عليه شعار الدولة المعلق عند المدخل وسحقته» [٦٩٥] .

في صبيحة اليوم التالى إندلعت الاشتباكات في القاهرة . وقد جاء في التقرير أيضا إنه « في يوم الإثنين الموافق الثامن من يناير تجمعت مظاهرة حاشدة ألقيت فيها الخطب الحماسية ، حول الموضوع الراسخ غير المتغير الخاص بالحرية ، وحب الإنسانية والتضامن للدفاع عن المضطهدين . وفي التاسع من يناير نظم عمال تنضيد (ترتيب)حروف الطباعة الإيطاليين المعروفين هنا بمعتقداتهم الآناركية مظاهرة حاشدة ، وإنضم إليهم اليهود وبعض العناصر المتطرفة الأخرى . ومع حلول ظهيرة ذلك اليوم ، كانت الحشود الضخمة، التي ملأت الشارع أمام الوكالة الدبلوماسية الإمبراطورية قد نظمت مظاهرة معادية لنا، وقامت هذه الحشود بترديد التهديدات العدائية ، والصفير الحاد والهتافات ، ورفع الشعارات المعادية لروسيا ، ثم غادرت الحشود الوكالة متوجهة إلى نائب القنصلية ، وقد تكررت أمامة نفس المظاهرة» [٦٩٦]

٦٩٤ نفس المرجع ، السطر ١٠.
٦٩٥ نفس المرجع .
٦٩٦ نفس المرجع ، السطر ١٦-١٧ .

ونشرت صحيفة الأهرام في عددها الصادر في الرابع والعشرين من يناير نص المنشورات التي تم توزيعها في أنحاء القاهرة ، والتي جاء فيها : « أيها الرفاق ! هذه المظاهرة السلمية التي شاركنا فيها نظمت ، لكي تطالب باحترام حق اللجوء السياسي ، لكن فيما يخص المعتقلين السكندريين ، لم تحقق هذه التظاهرة النتيجة المرجوة ، ولذلك ، فإنه من واجبنا تجاه ضحايا الإستبداد اتخاذ التدابير الصارمة ؛ لأجل انتصار القيم الإنسانية والحرية ، فعلى كل فرد أن يكون على أتم الاستعداد للتحرك والرد بالقوة إذا لزم الأمر ، وليحيا الشعب الروسي العظيم ، ولتسقط حكومة القيصر[٦٩٧] ، وبالنظر إلى المنشور والأسلوب الذي صيغت به الجمل ، نلحظ أنه على الأرجح قد كتب بواسطة أحد المهاجرين الروس» .

استمرت موجة الاضطرابات في الإسكندرية والقاهرة . وكان الشيء الذي يمكن أن يخمدها هو ترحيل المعتقلين إلى خارج البلاد ، إلا أن الدبلوماسيين التابعين لسلطة القيصر كانوا يخشون عدم استطاعتهم نقل السجناء على متن السفينة الروسية القابعة داخل الميناء لأن ؛ المتظاهرين قد حاصروا الميناء بالفعل . لذلك تم نقل بوتسيوف ورفاقه من السجناء سراً إلى ميناء بورسعيد في الفترة من الثالث عشر إلى السادس والعشرين من يناير وتم وضعهم على ظهر السفينة «كورينلوف» وأرسلوهم إلى روسيا تحت الحراسة المشددة والمكونة من ١٠ حراس[٦٩٨] .

دامت موجة الاضطرابات ما يقرب من أسبوعين ، وكانت هذه الفترة بالنسبة للدبلوماسيين الروس عبارة عن اختبار صعب ، والذين كانوا على ما يبدو ينفذون بشرف مهمة ذات طابع وطني .

تم منح وسام « القديسة آنا» الروسي لثلاثة من البريطانيين لمساهمتهم في القبض على بويتسوف وهم : قائد شرطة الإسكندرية الجنرال هنرى هبكنسون ، ومفتش البوليس السرى الرائد جورون إيجرام ، والعقيد ألكسندر بول مأمور سجن «الحضرة» [٦٩٩]، حيث تم التحفظ فيه على المعتقلين» .

٦٩٧ الأهرام ، ٢٤-١ ، ١٩٠٧ .

٦٩٨ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية ، ملف ١٥١ ، حافظة٤٨٢ ، وثيقة ٨٦٠ ، السطر ٦ .

٦٩٩ نفس المرجع ، ملف ١٤٩ ، ٢٠٢٦ ، وثيقة ٥٠٢٦ ، وثيقة ٧٥٦١ ، السطر ٢ .

من خلال متابعتنا للمظاهرات المؤيدة للمعتقلين، نلاحظ أن أغلب المشاركين بها من الأوروبيين بالمقام الأول، وهو ما يعد أمراً عادياً، لأن أي مواطن أوروبي لاترضى حكومته عن نشاطه السياسي يمكن أن يكون رهن الاعتقال بمجرد أن تتقدم القنصلية التابع لها بطلب إلى السلطات المصرية، ويتم ترحيله إلى بلاده فوراً. كان لأحداث ١٩٠٧ صدىً كبيراً لدى المصريين فقد ساهمت بقدر كبير في التنوير السياسي. وكتبت جريدة « اللواء» التي أنشأها «مصطفي كامل» تعليقاً على الأحداث وهى تحث المصريين على المشاركة فيها : «أنه يجب على المسلمين (إقرأ : المصريين ف. بيلياكوف) أن يشاركوا أيضاً في هذه المظاهرات كي يعرفوا، في نهاية المطاف المعنى الحقيقي للحرية» [٧٠٠]

بعد مرور ست سنوات منذ اعتقال بوتسيوف تلقى المصريون درساً آخر من دروس الحرية والفضل في ذلك كان يرجع إلى اللاجئين السياسين الروس.

في نهاية ١٩١٠عاد إلى أوديسا المشاركون في الثورة الروسية الأولى من المنفي. وحاولوا إنشاء اتحاد البحارة التجاريين في البحرالأسود كما حاولوا إصدار جريدة تتحدث باسمهم ولكنها غير قانونية باسم «تشيورنوموريتس». غير أنهم تمكنوا من إصدار عدد واحد فقط من هذه الجريدة وفي ربيع ١٩١١ تم تنظيم إضراب ما يعرف ببحارة البحر الأسود ، والذي لم يكتب له النجاح وإنتهى بالهزيمة. ومن هنا إنبثقت فكرة جديدة وهى نقل قيادة الاتحاد خارج حدود البلاد، وقد تم اختيار مدينة القسطنطينية لتكون مقراً له، حيث إعتادت السفن الروسية الإبحار إلى هناك. وبحلول نهاية ١٩١١ كان قد تم الانتهاء من التشكيل الجديد للجنة الخارجية التابعة لاتحاد بحارة البحر الأسود. وكان أحد قادتها ميخائيل أداموفيتش الاشتراكي الديموقراطي ،الذي ترأس أول نقابة للعمال في منطقة البحرالأسود والتي أطلق عليها «ريجستراتسيا» في عام ١٩٠٦، ولكنه عاش في ميونخ بعد فشل الثورة .وفي فبراير ١٩١٢ في القسطنطينية صدر أول عدد من الصحيفة الشهرية «موريالك» (البحار)، ولكن سرعان ما إندلعت حرب البلقان. مما إضطر اللجنة الخارجية وهيئة تحرير الجريدة إلى ترك القسطنطينية والإنتقال إلى الإسكندرية [٧٠١].

٧٠٠ « اللواء» ، ١١-٢-١٩٠٧.

٧٠١ «تحت راية الوطن» ، مقالات حول تاريخ مؤسسة البحر الأسود ، أوديسا ، ملف ١٤٩ ، حافظة ٥٠٢٦ ، وثيقة ٥٣٤١ ، السطر ١٣٨.

كانت العاصمة الشمالية لمصر بمثابة المكان المناسب لإقامة قادة الاتحاد ، وذلك لعدة أسباب أهمها : كانت السفن الروسية خط (أوديسا – الإسكندرية) تصل ميناء الإسكندرية كل أسبوع ، كما كانت السفن التي تحمل العلم الروسي ، وتمر عبر قناة السويس تتوقف في ميناء مدينة بورسعيد التي كانت تبعد مائتان كيلومتر فقط عن الإسكندرية ، وبذلك ضمن قادة الاتحاد استمرار العلاقة التي تربطهم بروسيا والبحر الأسود . ثانياً : كان يعيش في القاهرة والإسكندرية مجموعة كبيرة من المهاجرين السياسيين الذين تركوا روسيا بعد فشل الثورة الروسية الأولى ، ويمكن لهؤلاء القادة من البحر الأسود الاعتماد بشكل كبير على مساعدتهم في الإستقرار في مصر .

كانت أنشطة اللاجئين السياسيين دائماً ما تسبب صداعاً في رأس الدبلوماسيين الروس . وقد أبلغ القنصل بالإسكندرية أ.م . بتروف[٧٠٢] وزارة الخارجية الروسية في الثانى والعشرين من أغسطس ١٩١٣ : «إن عملية مراقبة المقيمين هنا من الثوريين الروس تعد عملية شبه مستحيلة» . ونظرا لصعوبة المهمة فقد استعان الدبلوماسيون الروس بمخبرين لاتمام عملية المراقبة ، وفي هذا الإطار في يونيو ١٩١٣ تقدم السفير سميرنوف باقتراح لإدارة الشرطة المصرية بتكليف أحد المخبرين لمراقبة أعمال المهاجرين السياسيين ويدعى يعقوب زولاي ، وبالفعل تم قبول الاقتراح المقدم من السفير وبدأ يعقوب زولاى في مزاولة العمل كمخبر براتب ٦٠ جنيها سنوياً[٧٠٣] .

واصلت السلطات القنصلية الروسية القبض على اللاجئين السياسيين وترحيلهم إلى روسيا ، وفي مطلع عام ١٩١٣ كان من ضمن المرحلين المناضل الثوري بارشوكوف (والشهير بكيريلوف أو كوزولوف والملقب أيضا بسولوفيوف) من الإسكندرية إلى أوديسا ، إلا أنه على الرغم من الحراسة المشددة تمكن من الهرب بمجرد وصول السفينة إلى القسطنطينية والفرار إلى فرنسا[٧٠٤] .

في ربيع نفس العام ، تم ترحيل ألكسندر فلاديميروفيتش أودايفسكى ماسلوف إلى «أوديسا» ، وطبقا لبيانات القنصلية الروسية في القاهرة : «أدين ألكسندر بمحاولة قلب نظام الحكم القائم» وفر من روسيا وعمل في ضاحية حلوان داخل مصحة الدكتور ديفيد ليبوفيتش جلانتر ، وأضاف السفير الروسي بالقاهرة زوييف[٧٠٥] أن :

٧٠٢ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية ، ملف ١٤٩ ، حافظة ٥٠٢٦ ، وثيقة ٥٣٤١ ، السطر ١٣٨.
٧٠٣ نفس المرجع ، وثيقة ٥٣٤٢ ، السطر ١ ، ٥ ، ١٢ .
٧٠٤ نفس المرجع ، وثيقة ٥٣٤١ ، السطر ٣١ .
٧٠٥ نفس المرجع ، السطر ٩٤ .

«ألكسندر يعد من العناصر شديدة الخطورة في مناطق القاهرة وحلوان ، حيث يلتف حوله مجموعة من الشباب اليهودي الروسي ، ويقوم بتحريضهم ضد النظام القائم في روسيا» .

اعتبر الدبلوماسيون التابعون لسلطة القيصر مناطق حلوان والإسكندرية من أخطر بؤر التحريض الثوري داخل مصر ، وأكد على ذلك س . زوييف قائلاً [٧٠٦] : «في القاهرة ومن داخل إحدى ضواحيها حلوان تتمركز مستعمرة روسية تثير القلق ، حيث يتواجد بها عدد لا بأس به من المهاجرين غير الشرعيين» . واستطرد السفير : «والذين على ما يبدو ينتمون إلى منظمات مختلفة ولكنها كانت ذات طابع سياسي» .

كان سيرجى بتروفيتش يوريتسين أحد اللاجئين السياسيين الذين كانوا يقطنون في حلوان والذي أصدر صحيفة «ابن الوطن» وبعض الصحف الأخرى خلال الثورة الروسية الأولى . وقد تم استدعائه إلى المحكمة على خلفية التوجهات الثورية للإصدارات . ولكن السلطات القنصلية في مصر لم تتركه في حال سبيلة ، طالما أنه كان يدرج تحت «أكثر الشخصيات عداوة للنظام القائم في روسيا» .

في بداية عام ١٩٠٩ تم استدعائه مرتين أمام محكمة سانت بطرسبورج الجزئية . وهو الأمر الذي تجاهله يوريسين لأسباب مجهولة ، واضطر يوريسين إلى تغير المهنة في مصر وقام بتوزيع الزهور في ضاحية حلوان [٧٠٧] .

كان اللاجئون السياسيون قد اعتادوا التجمع داخل حانة للبيرة ، يملكها عامل التلغراف الحربى نيكولاى إبراموفيتش زاليبويكين الهارب من الزورق الحربى «كوبانيتس» . وكان من ضمن البحارة الروس الذين إعتادوا إرتياد الحانة بعد وصول السفن إلى ميناء الإسكندرية شخص يطلق علية «فانيا الساعاتي» [٧٠٨] .

كان اللاجئون السياسيون على اتصال دائم مع مواطنيهم ، سواء الذين ذهبوا للاستجمام في المنتجع بحلوان أو البحارة المترددين على الموانىء المصرية عبر السفن الروسية، كما وجدوا أنصاراً لهم بين المصريين . وقد أبلغ القنصل زوييف السفير سميرنوف [٧٠٩] أن : « فيلبيدس بك» (رئيس شرطة القاهرة – فلاديمير بيلياكوف) أخبره عن علاقة الفوضويين الروس مع الثوريين المصريين» .

٧٠٦ نفس المرجع .
٧٠٧ نفس المرجع ، السطر ٩٢ ، ١٢٧ ، وثيقة ٥٨٣٩ ، السطر ١- ٦ .
٧٠٨ نفس المرجع ، وثيقة ١٤٣٥ ، السطر ١٥١.
٧٠٩ نفس المرجع ، السطر ٩٥ .

تعاونت السلطات المصرية و الروسية لمواجهة المعارضة السياسية ، وفي إطار هذا التعاون أرسلت وزارة الداخلية المصرية في ١٩١٠ فريقاً من الخبراء مكون من ثلاثة أشخاص إلى إنجلترا وروسيا وفرنسا على التوالى ؛ لدراسة سبل مكافحة الجرائم السياسية . وقد عادوا إلى الوطن بعد أن قضوا عامين مدة الدراسة [٧١٠] .

بهذا تكون الأوضاع في مصر قد ساعدت النازحين من البحر الأسود ، فقد دأبوا على العمل مع أطقم السفن الروسية التي كانت ترسو في الموانىء المصرية ، وتمكنوا بفضلهم أن يقيموا روابط بالوطن روسيا . بدأت صحيفة «موریاك» (البحار) في الصدور بانتظام منذ نهاية ١٩١٢ ، ووفقا لبعض التقارير كانت تطبع في حلوان [٧١١] ، وعلى ما يبدو أن يوريتسين الصحفي السابق كان يتولى هذا الأمر ، فمن المعروف أنه كانت تربطه علاقات قوية بنقابة بحارة البحرالأسود . وبعد أن نقفز للأمام نلاحظ أنه بعد إلقاء القبض على أداموفيتش ، ومصادرة الوثائق التي بحوزته والخاصة بالاتحاد ،عثرت السلطات القيصرية بداخلها على اسم ليوريتسين وقامت بتفتيش منزله . وحيث أنه علم بأمر إعتقال أداموفيتش من الصحف المحلية تمكن على الأرجح من إخفاء جميع المراسلات الخاصة به . ولم تسفر عملية التفتيش عن شيء [٧١٢] .

في الفترة من الرابع عشر إلى السادس عشر من فبراير ،عقد النازحون من البحر الأسود في مدينة الإسكندرية مؤتمراً سرياً للمنظمات المهنية البحرية لأطقم السفن الروسية وحضره مندوبون من بحارة البحر الأسود ، وبحر البلطيق ، وبحر قزوين [٧١٣] .

علمت سلطات القنصلية الروسية عن وصول أداموفيتش ورفاقه إلى الإسكندرية مصادفةً ، وبناءً على الطلب الذي قدمته في ديسمبر ١٩١٢ قامت الشرطة المصرية بالقبض على المهاجر السياسي فلاديمير تيرسكي (ميرسكي ، سفابودن) ، وبعد الاستيلاء على أوراقه التي كانت بحوزته علموا بأمر نقل اللجنة الخارجية لاتحاد بحارة البحرالأسود [٧١٤] إلى الإسكندرية .

٧١٠ «بكر عبد الوهاب» ، نفس المرجع صـ ٢٥- ٤٣ .
٧١١ «رفعت السعيد» «تاريخ الحركة الإشتراكية» صـ ١٨٨ .
٧١٢ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية ، ملف ١٤٩، حافظة ٥٠٢٦ ، وثيقة ٥٣٤١ ، السطر ٩٢ .
٧١٣ نفس المرجع ، السطر ٥٠ .
٧١٤ نفس المرجع ، السطر ٦٢ .

خلال تلك الفترة أسفرت أعمل النقابة عن بعض النتائج، حيث بدأ بحارة البحر الأسود في بداية عام ١٩١٣ التجهيز لإضراب جديد، ورفعت الشرطة تقريراً بذلك إلى الحكومة. في الوقت الذي وصل فيه التأجيج الثوري مرة أخرى في روسيا لدرجة الغليان، مما دفع السلطات القيصرية بالرد على التقرير بمنتهى الحزم، وكان إضراب بحارة البحر الأسود غير مرغوب فيه بالنسبة للسلطات القيصرية، طالما أنه قد يثير بعض ردود الأفعال، ناهيك عن إمكانية التسبب في أضرار جسيمة بالممتلكات.

في الثلاثين من مارس عام ١٩١٣ (بالتقويم القديم. فلاديمير بيلياكوف) عقد رئيس مجلس الوزراء إجتماعاً خاصاً بشأن اتخاذ التدابير اللازمة لمنع إضراب أطقم السفن في البحر الأسود، بحضور وزراء الداخلية والعدل والنقل البحرى والتجارة والصناعة، وقد أسفر هذا الإجتماع علن اتخاذ عدة قرارات أهمها «أنه يجب أولاً أن يصدر أمر بضبط وإحضار القائد الفعلي للحركة أداموفيتش والذي يقطن في الإسكندرية»[٧١٥]. وصدرت الأوامر لممثلي القنصلية «تقديم المساعدة لأفراد الشرطة الروسية عن طريق العملاء في الإجراءات التي سيقومون بها».

بعد أن تلقى السفير سميرنوف بعد شهر تقريباً، قرار الاجتماع الخاص، توجه شخصياً إلى الإسكندرية في الفترة من الخامس والعشرين من أبريل إلى الثامن من مايو ليشهد بنفسه عملية القبض على أداموفيتش. وبما أنه كان يحمل جواز السفر الألمانى باسم المواطن ألكسندر كورنيلسون، فإن الأمر يتطلب موافقة مسبقة من القنصلية الألمانية، ولم يكن ذلك بالمهمة الصعبة، ففي غضون ثلاث ساعات من وصول السفير سميرنوف إلى الإسكندرية، تم إلقاء القبض على ألكسندر أداموفيتش وتم إيداعه قسم شرطة «الحضرة»[٧١٦].

أبلغ سميرنوف سانت بطرسبورج أن: «عملية القبض على أداموفيتش بأمر الحكومة القيصرية كانت مسألة في منتهى الأهمية، فقد تم العثور معه على وثائق تخص تنظيم أطقم السفن، وختم المنظمة، وقوائم عديدة، ومجموعة خطابات لسجناء واردة من داخل روسيا، ومراسلات حول إقامة علاقات للمنظمة بمثيلاتها في الغرب، ومع التجمعات العمالية في أوروبا»[٧١٧].

٧١٥ نفس المرجع، السطر ٣٧.
٧١٦ نفس المرجع، السطر ٤٥.
٧١٧ نفس المرجع، الملف ١٥١، حافظة ٤٨٢، وثيقة ٨٧٤، السطر ٢٠.

اعتقد الدبلوماسيون الروس أنه بالقبض على أداموفيتش قد نجحوا في تحييد أحد أبرز الشخصيات في الحركة الثورية الروسية. وأشار السفير الروسي سميرنوف في تقريره الذي أرسله إلى سانت بطرسبورج إلى: «أن الأشخاص المقبوض عليهم وهم: أداموفيتش، و ف. تيرسكي، ورفيقة الأول في السكن المواطنة السويسرية تريبي والمولودة في خوخلوفا يعدون أهم الشخصيات الثورية، وبالطبع فإن إرسالهم إلى مصر، يعنى أنهم قرروا نقل واحد من أهم مراكز التحريض ضد الحكومة في الخارج إلى هنا.

ويدلل على أهمية تلك الشخصيات وبالأخص، أداموفيتش تلك الضجة الواسعة في أوروبا التي صاحبت عملية القبض عليه، والمراسلات الخاصة به، والتي تم تسليمها إلى القنصلية الروسية في الإسكندرية، فقد أحدثت دهشة بسبب حجمها، وتتكون من منشورات أناركية وثورية، ومطبوعات، ومراسلات مع المنظمات الأوروبية والفصائل المختلفة، وأيضاً خطابات شخصية هائلة لعدد من الشخصيات الثورية المختلفة، والتي كانت تمثل مادة ثرية مهمة بالنسبة لرجال الشرطة [٧١٨].

لم يثر خبر اعتقال أداموفيتش ضجة في الأوساط الأوروبية فحسب، لكنه أثار ضجة داخل الأوساط المصرية أيضاً. وكما حدث مع بوتسيوف في عام ١٩٠٧ نظمت وقفة تضامنية شارك فيها الأوروبيون بشكل أساسي، ولنفس السبب: إذ قامت السلطات المصرية بالقبض عليه إستناداً إلى قانون الامتيازات، وأيضا لأسباب سياسية، وهو الأمر الذي يعد سابقة خطيرة. وكانت السلطات القيصرية تستفيد من نظام الامتيازات، و طالبت بالحفاظ عليه. وأشار سميرنوف [٧١٩] في أحد تقاريره: «نتوقع أنه في حال ما تم إلغاء نظام الامتيازات وحرمنا من إمكانية تصفية أنشطة المحرضين السياسيين هنا، فستتحول مصر إلى واحدة من أهم وأخطر الأماكن، للدعاية المناهضة للحكومة القيصرية».

أبلغ سميرنوف سانت بطرسبورج: «أنه تم عقد اجتماع داخل دوائر العمل الاشتراكية في كل من القاهرة والإسكندرية، وذلك لمناقشة التدابير التي يمكن اتخاذها للحيلولة دون ترحيل المعتقلين إلى روسيا [٧٢٠]، وتم التخطيط لحشد الحشود ومحاولة نصب كمائن للحيلولة دون ترحيل المقبوض عليهم، و اللجوء كذلك إلى

٧١٨ نفس المرجع، السطر ٣٢.
٧١٩ نفس المرجع، السطر ٣٦.
٧٢٠ نفس المرجع، السطر ٣٣.

الترويع إذ سيتم الحكم على أنا وممثلى القنصلية في القاهرة بالإعدام في حالة إرسال المعتقلين إلى روسيا».

بعد مرور شهر، وعلى الرغم من الاحتجاجات تم ترحيل كل من: أداموفيتش وتيرسكي إلى أوديسا على متن إحدى السفن الروسية، وتم اللجوء إلى الحيلة؛ لتحاشي الصدام مع المتظاهرين، فكان المشهد كالتالى: قبيل إبحار السفينة بساعة واحدة، تم نقل المحتجزين داخل سيارة الترحيلات من السجن إلى ميناء الجمارك، فبدا الأمر كما لو كانت السفينة ستغادر بدونهما وعندما همت السفينة إلى الخروج من الميناء، تم تسليم أداموفيتش وتيرسكي إلى طاقم السفينة على متن زورق الجمارك[٧٢١]

РОССІЙСКАЯ СОЦІАЛЬ-ДЕМОКРАТИЧЕСКАЯ РАБОЧАЯ ПАРТІЯ

ИСКРА

№ 1. ДЕКАБРЬ 1901 ГОДА. № 1.

الصفحة الرئيسة من جريدة «إسكرا» التى كان يتم نقلها من أوروبا إلى روسيا عبر الإسكندرية من خلال السفن التجارية

وفقاً لتقييم سميرنوف: «أبدت الصحافة العربية اهتماماً ضئيلاً لقضية أداموفيتش ورفاقه»[٧٢٢]، ولكن من الجانب المصري عندما نمى إلى علم المصريين خبر اعتقاله شعروا بالتعاطف معه، فيما كتبت صحيفة موريالك (البحار) في عددها الصادر في الثاني عشر من سبتمبر عن هذا الأمر والتي كانت لا تزال تصدر آنذاك.

يذكر أن رفاق أداموفيتش أعدوا له خطة للهرب، ولكنه في أثناء قفزه من أعلى أسوار السجن إلتوى كاحله، ولم يتمكن من الركض، وألقى القبض عليه مرة أخرى، وأعيد الهارب إلي الزنزانة، وتمنى له مفتش السجن المصري: «النجاح في المرة القادمة!»[٧٢٣]

٧٢١ نفس المرجع، السطر ٣٤.
٧٢٢ نفس المرجع، السطر ٣٠.
٧٢٣ «فلاديمير بيلياكوف» محمية أفريقيا للطيور، صفحة ٥٤- ٥٥.

أشادت السلطات القيصرية بجميع المشاركين في عملية القبض على أداموفيتش ترحيله وبخاصة الأجانب، وحصل كل من القنصل العام لألمانيا في الإسكندرية السيد إدوارد جوبمان على الأوسمة الروسية، ورئيس الفرقة بوكالة الشرطة السرية الرائد ريكاردو دجيوفانى، كبير أمناء إدارة الموانىء المصرية والفنارات دوجلاس موريس، وقائد شرطة الميناء الرائد داوسون، فيما نال كل من قائد شرطة الإسكندرية الجنرال هوبكنسون، ومفتش الشرطة السرية الرائد إنجرام ومسؤول قسم الحضرة بوب الهدايا الثمينة، كما حصلوا على الأوسمة الروسية، تقديراً لجهودهم في عملية إعتقال بوتسيوف [٧٢٤].

على الرغم من انتصار ثورة أكتوبر وانتهاء الحرب العالمية الأولى، إلا أن ذلك لم يؤد إلى العودة السريعة لمعظم الثوريين الروس إلى أرض الوطن الذين وجدوا في مصر ملاذاً وملجأً من بطش النظام القيصري، إندلعت الحرب الأهلية والتي حالت دون رجوعهم للوطن، كما أُعيق طريق المواصلات البحري المباشر بين الإسكندرية وأوديسا، وتم قطع العلاقات مع العائلة والأصدقاء المتواجدين داخل الوطن، في حين نجح أغلب المهاجرين في الاندماج داخل المجتمع المصري وتمكنوا من الحفاظ على العلاقات فيما بينهم.

في عام ١٩١٩ كانت لاتزال لجنة المهاجرين السياسيين الروس تمارس عملها [٧٢٥]، ومن مفارقة القدر أنه في العام التالي، وعلى الأراضي المصرية إلتقوا بخصومهم السياسيين من اللاجئين الفارين من روسيا السوفيتية.

كما رأينا، لقد ساهم اللاجئون السياسيون الروس على الرغم من ملاحقات السلطات القنصلية في زعزعة النظام القيصري، كما أنهم أقاموا علاقات مع من يتبنى نفس أفكارهم من الأوروبيين والمصريين على حد سواء. كما ساهم اللاجئون الروس في نشر الوعى السياسي لدى عموم المصريين، وغرسوا بذور الحركة الاشتراكية والعمالية المصرية.

٧٢٤ أرشيف السياسة الخارجية للإمبراطورية الروسية، ملف ١٤٩، حافظة ٢٠٢٦، وثيقة ٧٥٦١ السطر ٣-٢.

٧٢٥ نفس المرجع، ملف ٣١٧، حافظة ٨٢٠/١، وثيقة ٥٠٨، السطر ٦.